أثر البعد المقاصدي
للتربية العقدية في الأمن النفسي للإنسان المعاصر

الدكتور عبد العزيز انميرات
أستاذ الفكر الإسلامي والعلوم الإنسانية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس
المغرب

ملخص:

من الحقائق التي لا يختلف حولها اثنان، أن الإنسان المعاصر يعيش حالة من الارتهان والتيه، كما الكثير من الأمراض النفسية والاغتراب الروحي الذي أفقده الكثير من الصفات والخصائص التي بها يتصف بالأدمية ويُخرجه من دائرة الفطرة الصحيحة، ليعيش داخل دوامة الفوضى والظلم والاستبداد وتدمير الحضارات والثقافات والأخلاق والقيم، وكل ذلك بصورة أصبحت ملفتة للانتباه، وكأننا أمام مرحلة خطيرة للغاية تنذر بكل أنواع الكوارث والمصائب. وقد حاولت الكثير من مؤسسات البحث والدراسات، بمختلف تخصصاتها، تعقب الأسباب واقتراح العلاجات الممكنة، لكن توحش الإنسان أفقده بوصلة عمارة الأرض بما يقتضيه مقام الاستخلاف وقصد التعبد، فأصبحنا أمام حالة إنسانية تستلزم تجديد البحث والدراسة في موضوع هذه العمارة والاستخلاف، بما يقتضيه مقام بناء الذات والمجتمع والأمة، بل والإنسانية جمعاء.

كلمات مفتاحية: الأمن النفسي-التربية العقدية-البناء الروحي – الإنسان المعاصر.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

انميرات، عبد العزيز. (2024، أكتوبر). أثر البعد المقاصدي للتربية العقدية في الأمن النفسي للإنسان المعاصر. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 7، السنة الأولى، ص 775-796.

Abstract:

One of the facts about which no two disagree is that the modern human being lives in a state of dependence and wandering, as well as many psychological illnesses and spiritual alienation, which have caused him to lose many of the qualities and characteristics by which he is characterized as human, and takes him out of the circle of correct nature, to live within a whirlpool of chaos, injustice, tyranny, and the destruction of civilizations, cultures, and morals. And values, and all of this in a way that has become attention-grabbing, as if we are facing a very dangerous stage that portends all kinds of disasters and calamities. Many research and study institutions, with their various specializations, have tried to track down the causes and suggest possible treatments, but man's brutality has made him lose the compass for building the earth, as required by the position of succession and the intention of worship. Thus, we are faced with a humanitarian situation that requires renewed research and study on the subject of this architecture and succession, as required by the position of self-building. Society, the nation, and even all of humanity.

Keywords : psychological security - religious education - spiritual construction- contemporary man.

توطئة

من الحقائق التي لا يختلف حولها اثنان، أن الانسان المعاصر يعيش حالة من الارتهان والتيه، كما الكثير من الأمراض النفسية والاغتراب الروحي الذي أفقده الكثير من الصفات والخصائص التي بها يتصف بالأدمية، ويُخرجه من دائرة الفطرة الصحيحة، ليعيش داخل دوامة الفوضى والظلم والاستبداد وتدمير الحضارات والثقافات والأخلاق والقيم؛ وكل ذلك بصورة أصبحت ملفتة للانتباه، وكأننا أمام مرحلة خطيرة للغاية تُنذر بكل أنواع الكوارث والمصائب. وقد حاولت الكثير من مؤسسات البحث والدراسات، بمختلف تخصصاتها، تعقب الأسباب واقتراح العلاجات الممكنة؛ لكن توحش الإنسان، أفقده بوصلة عمارة الأرض بما يقتضيه مقام الاستخلاف وقصد التعبد، فأصبحنا أمام حالة إنسانية تستلزم تجديد البحث والدراسة في موضوع هذه العمارة والاستخلاف، بما يقتضيه مقام بناء الذات والمجتمع والأمة، بل والإنسانية جمعاء.

إن واقع حال فراغ حياة الإنسان المعاصر من الأمن -بكل صوره وتفاصيله- جزء من سلسلة مسار حياة البشرية منذ خلق الله تعالى الانسان، وجعله مستخلفا ومكلفا بتعميرها، بما يحقق مقاصد الخلق، والتي يجمعها قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. إنه مسار طويل يشهد على تواصل إفساد فطرة الإحساس بالأمن عند الإنسان منذ القديم؛ وقد حاولت الكثير من الفلسفات والنظريات والقوانين الوضعية معالجة هذا الموضوع، فهما وتحليلا وضبطا بالقوانين والأخلاقيات ، وكل ذلك من أجل التمكين لمطلب الأمن في حياة الإنسان، كمستلزم لا تقوم حياته بالشكل السليم، إلا بتوفره واستدامته؛ لكنها فشلت فشلا ذريعا تشهد عليه الكثير من الحروب والصراعات وحالات الاضطهاد والاستعباد وأكل أموال الناس بالباطل، قديما وحديثا؛ ولا أظن أن ثمة شريعة أو قانونا أو فلسفة، استطاعت أن تعيد فطرة الإحساس بالأمن إلى موضعها الطبيعي، بل و أن تدعم استدامته وحمايته، مثل الدين الإسلامي، عقيدة وشريعة؛ هذا الدين الذي تشهد الأدلة من التاريخ ذاته، على نموذجية بنائه للنفس والفكر والروح قبل الواقع، محل تنزيل هذا البناء ، وكل ذلك بما خول للإنسان الآمن في عقيدته أن يعيش حياة آمنة على كافة المستويات، بما أثمر حضارة إنسانية نموذجية؛ وهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاهل أو متعصب.

[1] سورة الذاريات الآية 56.

على هذه الأرضية النظرية، يتأسس الكلام عن موضوع سنحاول -من خلاله -مقاربة أثر البعد المقاصدي للتربية العقدية في الأمن النفسي للإنسان المعاصر، لعلمنا بحاجة هذا الأخير -بصفة عامة، والمسلم بصفة خاصة، إلى هذا الضرب من التربية، حتى تستوي شخصيته، وتعود إلى (أحسن تقويم) من جديد، تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا، خاصة في جانبها الروحي والنفسي، الذي أصابته الكثير من معوقات التقويم الحسن.

فالنفس المطمئنة التي يتأسس كيانها على العقيدة الصحيحة، ستكون لا محالة قوية ومنتجة ومبدعة، بل وقادرة على مقاومة كل ما من شأنه جعل الإنسان مفسدا ومحبطا وتائها؛ ذلك أن عمارة الأرض تقتضي – كما هو معلوم - إيجاد الإنسان أولا، وبناءه وتربيته، روحيا ونفسيا، ثانيا، وذلك قبل تكوينه اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا... إلى آخره؛ وهنا أثر العقيدة السليمة في هذا السياق.

وعلى الجملة، تتأسس هذه الورقة على سؤالين متكاملين، وهما:

1. ما مفهوم الأمن النفسي في سياق مقتضيات الحاجة إليه؟
2. وإلى أي حد يمكن للعقيدة الإسلامية تحقيق هذا النوع من الأمن، حتى يتسنى للمسلم المعاصر تحقيق عمارة الأرض بالشكل المطلوب

المحور الأول: تعريف الأمن النفسي

يتكون مصطلح الأمن النفسي من كلمتين رُكبتا تركيبا وصفيا، يقتضي المقام تحديده من خلال بيان كل مصطلح على حدة، خاصة وهو من المصطلحات الغنية بكثرة المعاني المرتبطة به؛ هذا بالإضافة إلى أن صلب الموضوع الذي اخترنا الحديث عنه في هذه المداخلة، يقتضي هذا الضرب من البيان.

أولا. كلمة الأمن

فعلى مستوى اللغة، تدل كلمة الأمن- أولا -على العديد من المعاني، نجملها فيما يلي:

الطمأنينة[1] والتصديق[2] والثقة[3] والسلامة[4] والسكون والاستقرار[5].

وأما على مستوى الاصطلاح، فيراد بالأمن معاني كثيرة، تتأسس -في مجموعها - على الفهم اللغوي، نختار منها -على سبيل المثال لا الحصر- ما قاله الجرجاني ومحمد الطاهر بن عاشور؛ حيث ذهب الأول إلى أن الأمن «هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»[6]؛ في حين عرفه محمد الطاهر بن عاشور بكونه «حالة اطمئنان النفس وراحة البال، وانتفاء الخوف من كل ما يُخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق، ونحو ذلك»[7].

وخلاصة البحث في هذا المصطلح يفيد أن المقصود بالأمن: اطمئنان النفس، وزوال الخوف، والشعور بالسكينة القلبية وراحة البال؛ ولذلك يأتي الأمن في مقابل الخوف والرعب والروع والفزع، سواء أكان خوفا من عدو، أو فقر، أو مرض، أو جوع، أو كل أنواع المكاره التي يمكن للإنسان أن يتعرض لها.

[1] ينظر كتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني-400/1 حيث قال فيه: " الطمأنينة والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج". (مكتبة نزار مصطفى الباز). ومنه قوله تعالى في سورة البقرة الآية 239:" فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)، بمعنى: إذا اطمأننتم. يقول صاحب (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، أحمد بن محمد بن علي الفيومي:" اطمأن القلب سكن ولم يقلق، والاسم الطمأنينة"-تحقيق عبد العظيم الشناوي-378/2- دار المعارف القاهرة- ط2.

[2] ومنه قوله تعالى في سورة يوسف على لسان إخوة يوسف عليه السلام: " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين"- الآية 17- وينظر في هذا السياق للاستزادة والتوسع: تهذيب اللغة لابي منصور محمد بن أحمد الأزهري – ص ص 516-517.

[3] ومنه قوله جل جلاله على لسان يعقوب عليه السلام:" هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل"- سورة يوسف الآية 64 – ولذلك يقال: "الأمنة من الناس: الذي يثق بكل أحد"- ينظر بتفصيل: المعجم الوسيط –ص:28(إبراهيم أنيس وآخرون-مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية-ط3-2004).

[4] ومنه قولهم: أمن فلان وأمين منه، أي سلم منه- ينظر بتفصيل: المعجم الوسيط –ص:28.

[5] ومنه قول ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب والآخر التصديق"- ينظر معجم مقاييس اللغة – 133/1. وينظر ما قاله ابن تيمية في (الصارم المسلول على شاتم الرسول)، وجماعه "الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يتحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد"- تحقيق محيي الدين عبد الحميد – ص:519- عالم الكتب- 1403هـ.

[6] ينظر بتفصيل: معجم التعريفات- تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي-ص :34- دار الفضيلة القاهرة - مصر.

[7] تفسير التحرير والتنوير – 55/13- الدار التونسية للنشر تونس-1984.ويراجع للاستزادة: التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوي-تحقيق عبد الحميد صالح حمدان - ص:63- عالم الكتب القاهرة - مصر.

ثانيا. كلمة النفس

إذا كان المقصود بهذه الكلمة في اللغة عدة معاني، نحو القلب[1] والروح[2] والعقل[3]، فإن معناها في الاصطلاح بلغ - كما ذهب إلى ذلك ابن حجر العسقلاني - مائة قول[4]، نختار منها ما هو مشهور ومعلوم عند عامة المؤلفين، حيث تدل على ذلك الجسم اللطيف المحسوس، الحي، والمتحرك[5].

ثالثا مصطلح الأمن النفسي مركبا

على غرار الكثير من المصطلحات والمفاهيم، اختلفت تعريفات الباحثين والمفكرين والعلماء بشأن مصطلح الأمن النفسي، وسنقتصر في هذا المحور على ذكر أهمها، دون التعمق في حصرها، وتفصيل القول فيها جميعها؛ لأن القصد بيان المراد الذي يخدم الموضوع الذي نحن بصدد تحرير القول فيه.

يُعرف الدكتور حامد زهران عبد السلام - (أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس مصر) - في كتابه (دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي) الأمن النفسي بقوله: «والأمن النفسي هو الطمأنينة والانفعالية، وهو الأمن الشخصي، أو أمن كل فرد على حدة. والأمن النفسي هو حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضمونا وغير معرض للخطر، مثل الحاجات الفيزيولوجية والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الحب والمحبة، والحاجة إلى الانتماء والمكانة، والحاجة إلى التقدير، والحاجة إلى احترام الذات، والحاجة إلى تقدير الذات، وأحيانا يكون إشباع الحاجات دون مجهود، وأحيانا يحتاج إلى السعي وبذل الجهد لتحقيقه. والأمن النفسي مركب من اطمئنان الذات، والثقة في الذات، والتأكد من الانتماء إلى جماعة آمنة»[6].

---

[1] ومنه قوله تعالى: "إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها"- سورة يوسف الآية 68.

[2] ومنه قوله تعالى:" ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم"- سورة الأنعام الآية 93 - يُنظر لسان العرب لابن منظور -6/233-234.دار صادر بيروت لبنان.

[3] يقول الزجاج في هذا السياق:" لكل انسان نفسان، إحداهما نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام، فلا يعقل بها يتوفاها الله كما قال الله تعالى، والأخرى نفس الحياة، وإذا زالت زال معها النفس ". ينظر لسان العرب لابن منظور – مادة نفس.6/235

[4] ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري –رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي-8/403- المكتبة السلفية- يقول ابن حجر:" وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم؛ فقيل هي النفس والداخل والخارج، وقيل الحياة، وقيل هي جسم لطيف يحل في جميع البدن، وقيل هي الدم، وقيل هي عرض، حتى قيل: إن الأحوال فيها بلغت مائة".

[5] ينظر التفصيل الجميل لابن قيم الجوزية في هذا الموضوع في كتابه (الروح) بتحقيق محمد أجمل أيوب الاصلاحي - ص ص: 551 -561- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

[6] ص ص: 85-86 عالم الكتب -القاهرة- مصر

من هنا يكون «الشخص الآمن نفسيا هو الذي يشعر أن حاجاته مشبعة، وأن المقومات الأساسية لحياته غير معرضه للخطر. والإنسان الآمن نفسيا يكون في حالة توازن، أو توافق أمني»[1].

يُستفاد مما سلف ذكره، أن الأمن النفسي شعور عميق بالطمأنينة[2]، وإحساس بالسكينة[3]،والسلامة من كل ما من شأنه إثارة القلق والاضطراب، والخوف على النفس والمال والعرض والدين، إلى آخره؛ ذلك أن الإنسان بصفة عامة -كما يقول الشرباصي- «في أشد الحاجة إلى خلق الطمأنينة، ليجعله يندفع في شعاب الحياة ومسالكها، يمشي على نور الإيمان، ويعمل بثقة اليقين، ويواجه المتاعب بالصدر الرحب، ويلقى المسرات بالاتزان والاعتدال؛ وبذلك يسعى في حياته وينعم برضوان الله جل جلاله عليه»[4].

المحور الثاني: في الحاجة إلى الأمن النفسي

تدلنا مختلف التعريفات الاصطلاحية والفهوم النظرية المرتبطة بهذا المصطلح المهم، على أن الإنسان -بصفة عامة- يحتاج إلى الإحساس بالأمن النفسي، بل ويعيش على إيقاعه في كل حين؛ إذا بفقدانه يفقد كل إحساس بطعم الحياة الدنيا، ويعيش حالات متنوعة من الفوضى والتوتر والآلام النفسية والحزن المفضي –بدوره- إلى الكثير من العقد والاضطرابات النفسية الخطيرة. فالأمن النفسي – كما هو معلوم- مطلب فطري وُجد مع الإنسان ابتداء؛ إذ به تطمئن القلوب، وتتحقق عمارة الأرض بالأسلوب الذي يقتضيه مقام الاستخلاف، الذي هو من أهم المقامات الدالة على كرامة الإنسان وأفضليته على كثير من المخلوقات؛ ولذلك كان أهم ما طلب خليل الله

---

[1] المرجع نفسه- ص:86.

[2] يقول ابن قيم الجوزي (رحمه الله) - في سياق حديثه عن منزلة الطمأنينة-:"ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين، منزلة الطمأنينة. قال الله تعالى "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب" – (سورة الرعد الآية 28) (...) الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه"- ينظر: " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين "- ج2 / - - 534 دار الكتب العلمية- بيروت –لبنان- ط2 -1988.

[3] يقول ابن القيم - في المرجع ذاته- معرفا السكينة:" وأما السكينة، فإنها ثبات القلب عند هجوم المخاوف عليه، وسكونه، وزوال قلقه واضطرابه، كما يحصل لحزب الله عند مقابلة العدو وصولته" (المرجع نفسه-ص538)؛ ولذلك فإن من ثمراتها - كما يقول مضيفا- أنها" إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت واكتسبت الوقار، وانطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل. قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه". وكثيرا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن عن فكرة منه، ولا روية ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه، كما يستغرب السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه". المرجع نفسه- صفحة 527.

[4] أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن-86/1 - دار الرائد العربي بيروت- لبنان- ط1-1981. وينظر ما قاله عن طمأنينة النفس في المرجع نفسه – ص ص: 79-85.

إبراهيم (عليه السلام) من رب العالمين، أمن المكان، حيث قال في دعائه: " ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾"[1]. فربط بين أمن المكان وصفاء العقيدة، حتى يستقيم وجوده ومن معه؛ إذ في ظل الأمن النفسي تتحقق الاستطاعة في أداء واجبات التكليف، ومستلزمات وجود الإنسان بالصيغة المطلوبة، بل وبالأمن يستكمل الناس عامة مطلب الطمأنينة، التي تعتبر إحدى مقومات السيادة والمحافظة على الذات، وذلك إلى جانب مستلزمات العيش الأخرى، نحو الغذاء وإشباع الحاجيات المادية المعلومة، وهو ما تشير إليه سورة قريش، حيث يقول الله تعالى: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[2].

بل ويظهر أثر هذا الأمن بشكل جلي، من خلال الكثير من الآيات القرآنية، نحو قوله تعالى في سورة العنكبوت، حيث أنعم على المشركين من قريش، بنعمة الأمن بمكة، وذلك على الرغم مما كان يحيط بهم من فتن واقتتال بين العرب: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا، ويتخطف الناس من حولهم، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾.[3]

ولعل من أبلغ الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن بعض المقومات الرئيسة للحياة الطيبة التي يرجوها كل إنسان، قوله (صلى الله عليه وسلم): "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"[4] . فقدم النبي (صلى الله عليه وسلم) الحاجة إلى الأمن على صحة الجسد، وذلك على الرغم من أهميتها، وتوفر ما به يقتات الإنسان ويتغذى، وذلك لأهمية الأول؛ وفي هذا يقول العلامة المناوي -رحمه الله - «من جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله؛ فقد جمع الله له جميع النعم، التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها؛ فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصية، ولا يفتر عن ذكره»[5].

---

[1] سورة إبراهيم الآية 35- ومنه قوله عليه السلام في دعائه كذلك:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ". سورة البقرة الآية 126.فيظهر من خلال هذه الآية الكريمة العلاقة الوطيدة بين مطلب الأمن ومطلب تدفق الخيرات، وكل ذلك في صلة وطيدة بتحقيق مطلب العقيدة الصحيحة في حياة الإنسان.

[2] سورة قريش الآيات 1-4.

[3] سورة العنكبوت الآية 67.

[4] أخرجه الترمذي في (جامع الترمذي) عن عبيد الله بن محصن- حديث رقم (2346).

[5] فيض القدير شرح الجامع الصغير – 68/6- دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان ط2-1972.

وعلى الجملة، يمكن التأكيد على أن الأمن النفسي جزء من الأمن العام متعدد الأطراف الذي به تقوم الحياة الإنسانية[1]، بل والناظر في المقاصد الخمسة التي أجملها العلامة الشاطبي -رحمه الله- في كتابه الموافقات، في حفظ النفس وحفظ الدين وحفظ النسل وحفظ العقل وحفظ المال، سيعلم أن وجود هذه المقاصد أو الضروريات الخمس، مرتبط ارتباطا قويا بضرورة توفر الإحساس بالأمن؛ فهو بمثابة الأرضية التي يقف علها الإنسان، وهو يسعى لتحقيقها على أرض الواقع؛ خاصة إذا استحضرنا في هذا المقام ما يحيط بالإنسان المعاصر -على وجه الخصوص- من ضغوطات وإكراهات، أفقدت الكثيرين منا بوصلة الحياة الطيبة التي أرادها الله تعالى للإنسان ابتداء.

ونظرا لطبيعة الحالة النفسية التي أصبح يعيشها هذا الإنسان، بسبب كثرة الضغوطات والإكراهات القاسية، تجندت الكثير من مراكز البحوث ومؤسسات الدراسات النفسية والاجتماعية، الحكومية والمستقلة على حد سواء، وخاصة في البلدان الغربية، التي تعيش على إيقاع الحياة المادية؛ أقول تجندت هذه المؤسسات من أجل مقاربة موضوع الأمن النفسي، وإيجاد سبل تحقيقه وعودته إلى الحياة الإنسانية من جديد، مما يكفل تحقيق مطلب الاستقرار في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء. غير أن مختلف الجهود لم تفلح - للأسف الشديد- في تحقيق المقصود، لأنها -بكل بساطة- غيّبت أهم عامل في تحقيقه، وهو العامل العقدي، وذلك لأسباب معلومة عند الكثيرين، الشيء الذي يجعلنا نتساءل - دون خلفية مذهبية كما قد يعتقد البعض- : إلى أي حد يمكن للعقيدة الإسلامية تحقيق المطلب الملح للأمن النفسي للإنسان المعاصر، بعدما عجزت -في نظرنا كما نظر الكثيرين- العديد من النظريات البشرية في هذا المجال؟

المحور الثالث: أهمية العقيدة في حياة الإنسان

من الأمور التي لا يختلف حولها اثنان، أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بلا نظام يحدد له منهج الحياة وتفاصيل العيش، بل ويتعقبه بالتقييم والتقويم والتوجيه، حتى تستقيم حياته، وتستوي

[1] يحتاج الإنسان - بصفة عامة- إلى تحقيق إشباع نفسي على ثلاثة مستويات كبرى، تجعله يُحس بنوع من الأمن والاستقرار والطمأنينة، وهذه المستويات هي: أولا: الأمن الجسدي، حيث مطلب إشباع مختلف الحاجيات الضرورية جسديا وبدنيا. ثانيا: الأمن الاجتماعي، حيث الشعور بالانتماء إلى الجماعة، سواء كانت أسرة أو عائلة أو أمة، يُمكّن الإنسان من تمثل الأعراف والتقاليد والقيم الاجتماعية، بل ويشعر خلالها بأن له دورا مهما في المجتمع الذي يحيطه بكل الرعاية، ويجعله فاعلا ومنفعلا في الآن نفسه. ثالثا: الأمن العقدي والروحي، وهو مطلب مهم في حياة الإنسان بصفة عامة، إذ يكفل هذا النوع من الأمن الإحساس بالاطمئنان عند اختيار العقيدة التي يعتقد أنها تلبي مطالبه الروحية، دون إكراه ولا إلزام قسري، خاصة والإنسان -عامة -متدين بطبعه، ولا يفسد تدينه إلا لعوامل معلومة من المعايشة بالضرورة.

على الطريق الذي يجعل منه، حقا وفعلا، إنسانا مكرما ومميزا؛ كما أن هذا المخلوق -في سياق هذه الحقيقة- لا يمكن أن يعيش بلا دين؛ فهو مخلوق متدين ابتداء، وما فسد تدين الناس وزاغ عن الصواب، إلا بسبب فساد الفهم وانحراف التصور. فالإنسان متدين بطبعه، ولذلك احتاج إلى الدين في كل مراحل حياته؛ حيث تنوعت الديانات والاختيارات العقدية بتنوع الأزمنة والأمكنة والظروف؛ ولعل من أبرز الأديان التي اختارها الإنسان، الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله له منذ القديم، ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1].

وعليه، فإن الإنسان متدين بطبعه، لأنه بحاجة إلى عقيدة وشريعة تحيطه بالعناية والتوجيه والترشيد والتصويب؛ ولهذا تعتبر العقيدة -قبل الشريعة- من الضروريات التي لا غنى له عنها، لأنه بكل بساطة مخلوق تُلزمه فطرته الميل إلى قوة عليا، يجد فيها ما يجعل الناس جميعا منضبطين وملتزمين بتشريعات محدده، تُسهل التعايش والتكامل والتعاون والتآلف، وذلك على الرغم من اختلاف الأجناس والثقافات والطبائع والفهوم؛ الشيء الذي يعطي لهذا الاعتقاد إمكانية تحقيق ذلك الميل الفطري للتدين، بل ويعمل على إشباع مختلف حاجياته.

وعلى الجملة، لا يمكننا إلا أن نؤكد مع الكثيرين، ممن يلقون السمع وهم شهداء، على أهمية العقيدة في حياة الإنسان بصفة عامة، لأنها الكفيلة بتحقيق ذلك التوازن المطلوب بين عالمي الغيب والشهادة: الإيمان بالغيبيات التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها ومعرفتها، إلا من خلالها، يمنح المرء إمكانية حصوله على كثير من النتائج الإيجابية، لعل في مقدماتها: الإحساس بالحرية الحقيقية[2]. فقد أثبتت الحياة الإنسانية، أن الإنسان عبدٌ للكثير من الأمور التي تحيط بكيانه، وكلما حرر قلبه منها، بتوجيه عناية قلبه إلى الله (جل جلاله)، استطاع أن يكون عبدا قادرا على تنفيذ متطلبات عمارة الأرض على الوجه الذي يقتضيه مقام الاستخلاف، فيحسن في كل شيء: في عبادته ومعاملاته وتصرفاته، ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾[3]؛ بل إن الميل الفطري السليم إذا استوى عوده على العقيدة الصحيحة، لا يمكن إلا أن يُنتج الأمن

1 سورة آل عمران الآية 19.

2 يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه الجميل (حرية الإنسان في ظل عبوديته لله):" بخضوع الإنسان لواقع عبوديته لله، يصغي إلى صفحات التعليمات التي يخاطبه الله بها عز وجل، ويتلقاها بالثقة والقبول، ويتخذ منها النظام الذي يتعامل بوفقه مع هذه الحياة، والسياج الذي يحمي حريته الشخصية من الطغاة والمستكبرين والمستغلين. وبفضل الحرية التي متعه الله بها، يمارس بكرامة حياته الفردية والاجتماعية، وينهض بوظيفته في استخدام ما قد سخر له من المكونات، وتجنيدها للحضارة والعمران. وهكذا يمارس الإنسان حريته في ظل عبوديته لله عز وجل". - ص ص: 76-77(دار الفكر –دمشق-سورية-ط1-1992)

3 سوره النساء الآية 125

بمختلف تفاصيله، وعلى رأس ذلك الأمن النفسي، ناهيك عن مقام الهداية. يقول الله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[1].

وقد لا نجانب الصواب إن قلنا في سياق ما تقدم ذكره: إن ثمة جانبا في الحياة الإنسانية لا يمكن ملأه إلا بالإيمان، ولذلك حينما يغيب هذا العنصر من حياة الملاحدة والكثير من الناس، فإن ما يملأ فراغ ذلك هو القلق والحيرة والاضطراب في السلوك والابتعاد عن الاستقامة، بل ويؤدي كل ذلك إلى الاكتئاب، وهو من أشرس الأمراض النفسية المعاصرة، بل ويؤدي كل ذلك إلى الانتحار، لأن الفراغ الذي يعيشونه على مستوى الأمور الغيبية، يتم ملأه بالاعتقادات المنحرفة، التي تزيد من الحيرة والقلق وزيغ القلوب والانحرافات الاجتماعية والأخلاقية والفوضى والظلم؛ الشيء الذي يؤدي إلى فساد الأرض بما يُنتج الكوارث والمصائب، وهو ما نعيش على إيقاعه منذ فترة ليست بالقصيرة. يقول الله تعالى مشيرا إلى ارتباط فساد الأرض بفساد فطرة الإنسان: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[2]؛ والسبب كثره المعاصي، والتي تعود -في عمقها- إلى فساد العقيدة التي تؤطر الشريعة الناظمة لتفاصيل الحياة الإنسانية.

فالإنسان بحاجة إلى شريعة ومنهاج ينظم حياته؛ وقد جربت الإنسانية جمعاء الكثير من الشرائع والمناهج والقوانين والفلسفات، ولا تزال تجرب؛ لكن هذه الشرائع لم تنجح في تحقيق المطلوب، باستثناء الشريعة الإسلامية التي تدل القرائن الملموسة من التاريخ، على قدرتها على بناء الإنسان وإرشاده والعناية به من كل النواحي، فردا وجماعة وأمة وإنسانية، وما كان لهذه الشريعة أن تحقق هذه النتائج المطلوبة، لولا تأطير العقيدة لها من كل الجوانب.

من هنا يحق لنا أن نختم هذا المحور -على أهميته – بالقول: لا يصلح حال الإنسان، فردا وجماعة، إلا بشريعة ناظمة، توجهه وترعاه وترشده، ولا قدرة لأي شريعة على القيام بهذا الأمر، دون توفر عقيدة سليمة وصحيحة؛ ولا عقيدة يمكن للإنسان أن يلتزم بها، ويجعلها أرضية صلبة للانطلاق، إلا العقيدة الإسلامية؛ فهي القادرة على حماية الإنسان من التيه والحيرة والقلق، ومنحه -بالمقابل- كل عوامل الأمن، وعلى رأسه الأمن النفسي؛ وهذا ما سنتطرق إليه في المحور المقبل بحول الله تعالى.

[1] سوره الأنعام الآية 82

[2] سوره الروم الآية 41

المحور الرابع: أثر العقيدة في تحقيق الأمن النفسي للإنسان المعاصر

إذا كانت بعض النظريات السيكولوجية تعتقد أن الإنسان بحاجة إلى مجموعة من الحاجيات الأساسية التي تمنحه إمكانية العيش السليم، وهي الحاجيات الفيزيولوجية، والحاجة إلى الحب والانتماء، والحاجة إلى تقدير الذات والاحترام، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى تحقيق الذات، والحاجة إلى المعرفة والفهم، وأخيرا الحاجيات الجمالية[1]؛ فإنها أهملت -للأسف الشديد- أهم هذه الحاجيات الأساسية، بل والحاجة التي تشكل -في اعتقادنا، بل واعتقاد الكثير من الباحثين والمفكرين والعلماء- الأرضية الصلبة التي توفر للإنسان كل ما سبق من حاجيات، بل وتحيطها بعناية خاصة، تتجلى في التوجيه والترشيد والتقييم والتقويم؛ والأساس أن تمنح هذه الحاجيات –جميعها- الإحساس بالذات والكرامة، والعيش على الفطرة السوية، لا خارج إطارها؛ ونقصد بالتحديد: الحاجة إلى العقيدة، كجزء أولي من الحاجة الفطرية إلى الدين السليم؛ لأنه الكفيل- كما تدل على ذلك الشواهد من التاريخ- بجعل الإنسان قادرا على تحقيق ما سلف ذكره من حاجيات مادية ومعنوية، على حد سواء، وخاصة منها الإحساس بالطمأنينة، التي هي حاجة نفسية بالأساس، لا تمكن استقامة حياة الإنسان دون توفرها؛ إذ بغيابها تظهر في حياة الإنسان العديد من المشاكل والعلل، لعل من أبرزها: سوء التوافق النفسي والاضطراب والقلق والخوف.

فإلى أي حد تستطيع العقيدة الإسلامية إسعاف الإنسان المعاصر، بصفة خاصة، بما يحقق الشعور الملح بالأمن النفسي؟

إذا كان الأمن، بصفة عامة، والأمن النفسي بصفة خاصة، كما تقدم، مطلب فطري اقترن بوجود الإنسان، منذ بدأت عمارة الأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلأن طبيعة الحياة على وجه الأرض، لا يستقيم عودها، ولا تُمكّن الإنسان من هذه العمارة وتحقيق مطلب الاستخلاف، إلا إذا اطمأنت القلوب وسكنت النفوس؛ ولتحقيق هذا المطلب الفطري، أوجب الله تعالى على الإنسان اتباع سبل السلام، وعلى رأسها عقيدة ربانية، من عليم خبير لطيف بالإنسان، جمع فيها جل جلاله شتات كل شيء يحتاجه الإنسان، لأن الله تعالى، بعلمه الأزلي، يعلم أن هذا الأخير مبتلى بالشهوات والآفات والمتاعب والمكاره، وأنه إذا استقر قلبه ونفسيته، استطاع أن يتغلب على هذه الابتلاءات والآفات، فيكون عبدا لله، محفوفا بمعيته، التي ستجعله من أولياء

---

[1] ينظر بتفصيل هذه الحاجيات في (هرم الحاجيات) لعالم النفس ابراهام ماسلو (Abraham Maslow) في:
A theory of human motivation - in: Psychological Review –N:50-1943-pp :370-396.

الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ ولكي يتحقق معنى المعية[1]، يستوجب على هذا الإنسان أن يتبع ما اختاره الله له ابتداء؛ وأول هذا الضرب من الاتباع، تحقيق مطلب الإيمان الكلي في حياته قلبا وقالبا، سرا وعلانية، غيبا وشهادة؛ ذلك أن الله تعالى جعل الإيمان الحقيقي مقدمة للعديد من الأمور، وسببا لتحقيقها على أرض الواقع، مما هو محتاج إليه؛ فانظر إلى قوله تعالى، والآيات كثيرة في هذا المقام، الذي قارن فيه بين الإيمان والعمل الصالح والاستخلاف والتمكين والأمن، وهي آية جامعة تجعل وعد الله تعالى مقترنا بأمرين متكاملين: الإيمان الصادق والعمل الصالح. يقول الله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[2].

وانظر كذلك إلى قوله تعالى، الذي ربط فيه بين الكفر بنعم الله تعالى وضيق المعيشة، حيث قال: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[3].

فالإيمان بالله تعالى أساس كل شيء، كما هو معلوم، ومقدمة كل شيء، ومفتاح سكينة القلوب التي يحتاجها ويبحث عنها الحائرون والقلقون والمكتئبون والتائهون في دروب الحياة؛ ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾[4]. يقول صاحب كتاب (تيسير الكريم الرحمن) في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة:" يخبر الله تعالى عن منته على المؤمنين، بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس. فمن نعمة الله تعالى على عبده في

---

[1] لعل من نتائج المعية الربانية للعبد المؤمن، الذي ترسخت العقيدة السليمة في قلبه قولا وعملا، أن يفوز بالهداية والحفظ من كل سوء ، وهما من العوامل الرئيسة للشعور بالرضا والطمأنينة والسكينة النفسية ، حيث لا يشعر صاحب المعية بالوحشة والغربة والخوف؛ ولنا في رد موسى عليه السلام لما حاصره فرعون وجنوده، ما يدل على هذا النوع من الإحساس النفسي العميق حيث قال لأصحابه مرسخا العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وهم في أعز المواقف وأصعبها: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّاۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)- سورة الشعراء الآيتان 61- 62.وكذلك نجده في قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر رضي الله عنه وهما بالغار، وهو يطمئنه ويزرع السكينة في قلبه :" إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ". سورة التوبة الآية 40.

[2] سورة النورالآية 55.

[3] سورة النحل الآية 112.

[4] سورة الفتح الآية 4.

هذه الحال، أن يثبته ويربط على قلبه وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه"[1].

على هذا الأساس، تعمل العقيدة الإسلامية على بناء النفس البشرية أولا، بناء قويا يكون بمقدوره إحاطته بكل ما يمكنه من تمثل مختلف التكاليف والعبادات، التي هي في عمقها وبدورها لا تخرج عن السياق الذي من أجله شُرعت العقيدة، ألا وهو تحقيق سعادة الإنسان في الحياة والآخرة. فالإنسان المؤمن يجد في العقيدة الصحيحة التي يؤمن بها، السند الذي يُسعفه في مواجهة مختلف الابتلاءات والمصائب والإكراهات والصعوبات التي تفرزها طبيعة الحياة بصفة عامة، والعلاقات الإنسانية المعقدة بصفة خاصة؛ بخلاف الإنسان العادي الذي يُصاب باليأس والقنوط والشك والحيرة. فانظر- في هذا السياق-الفرق بين هذا الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾[2]، وبين هذا الذي يعلم أن كل شيء فيه خير، ولسان حاله يردد ما قاله يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ولا تيأسوا من روح الله،إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[3].

إنها العقيدة التي تصحح المفاهيم وتوجه البصائر، حتى يكون العبد قادرا على توطين مقام الرضا على -سبيل المثال- في قلبه وروحه ونفسه؛ فلا يكترث للقادم، بقدر ما يطمئن له، لأنه يعلم أنه -بإيمانه الصادق- في معية الله تعالى، الذي يعلم أن ما أصاب العبد المؤمن بمصيبة إلا وفيها خير وبركة عليه؛ يقول الله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم، وأنتم لا تعلمون﴾[4] . ولذلك جاء في الأثر: "المصائب مفاتيح الأجر"[5]. ومن هنا نفهم التوجيه العقدي الدقيق للرسول (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين الصادقين، حينما قال:" عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له"[6].

---

1 عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - حققه عبد الرحمن معلا اللويحق-ص:791-(مؤسسة الرسالة بيروت لبنان-ط1-2022).

2 سورة فصلت الآية 49

3 سورة يوسف الآية 87.

4 سورة البقرة الآية 216.

5 قولة للحسن بن علي رضي الله عنهما نقلا عن: نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للشيخ الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني-ص- 72 تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي-قم- إيران-ط1-1408هـ-

6 رواه الإمام مسلم في صحيحه – باب المؤمن أمره كله خير- حديث رقم 2999

وانظر كذلك توجيهه الرشيد، وهو يصنع العقيدة الصحيحة السليمة في نفوس المؤمنين، حتى تتخلص من الحيرة والقلق والخوف، حاضرا ومستقبلا، حينما قال لابن عباس (رضي الله عنه) : «يا غلام، إني أعلمك كلمات : احْفَظِ اللهَ يحفظْك، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن بالله، واعلمْ أن الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يَضرُّوك بشيء لم يَضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف[1]».

يقول الدكتور كارل جونج (CARL JUNG)، وهو أحد الأطباء النفسيين النمساويين المشهورين في عصره في كتابه (الرجل العصري يبحث عن روح)، مشيرا إلى آثار غياب الإيمان من حياة الإنسان المعاصر: "استشارني في خلال الأعوام الثلاثين الماضية، أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة، وعالجت مئات من المرضى، فلم أجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر، أي الخامسة والثلاثين أو نحوها، لا ترجع في أساسها إلى افتقادهم الإيمان وخروجهم على تعاليم الدين. ويصبح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى وقع فريسة المرض، لأنه حُرم سكينة النفس التي يجلبها الدين، أي دين، ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلا حين استعاد إيمانه، واستعان بأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة"[2].

هكذا تتبين إحدى صور الإيمان الذي هو أساس العقيدة في حياة الإنسان المؤمن، صورة تشير -بكل الأدلة- إلى ما تقدمه العقيدة الصحيحة من مناعة نفسية، تحميه من كل ما من شأنه جعله فريسة لمختلف أنواع الأمراض النفسية، التي تسلبه -بدورها- إمكانية العيش بسلام، فردا وجماعة.

وعلى هذا الأساس، يمكن تلخيص أثر هذا الضرب من العلاقة بين العقيدة والأمن النفسي للإنسان، من خلال العناصر الستة المكونة للأيمان، وهي:

أولا: الأمن النفسي في سياق الايمان بالله تعالى جملة وتفصيلا، وخلاصته أنه كل ما تحقق هذا الإيمان في قلب الإنسان وصدقه العمل، انتفع به على مستويات عدة، نذكر منها للتمثيل، وليس للحصر:

1 رواه الإمام الترمذي في (جامع الترمذي) - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في صفة أواني الحوض – باب منه - حديث رقم 2516.

[2] نقلا عن ديل كارنيجي: دع القلق وابدأ الحياة – تعريب عبد المنعم محمد الزيادي- ص:215- مكتبة الخانجي القاهرة - مصر-ط-16-1994.

1-الإيمان بالله تعالى يُورث انشراح الصدر وسكون القلب، يقول الله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾[1].

2-تحقيق الهداية والتحصين من المنعطفات ومزالق الحياة، يقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [2]. ويقول ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾[3].

3-الإيمان بالله تعالى وتوحيده يثمر إصلاح البال واطمئنان الفكر والتوفيق والسداد، يقول الله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزّل على محمد وهو الحق من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾[4].

4-الإيمان بالله تعالى لا ينتج إلا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، على اعتبار أن الحياة الطيبة في الحياة الدنيا، يُقصد بها -فيما يقصد- ما تشعر به قلوب المؤمنين من اطمئنان، ونفوسهم من سكينة، وذلك بزوال الهم والغم والقلق. يقول الله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[5].

5-الكفر والشرك، الذي هو ضد الإيمان بالله تعالى، موجب للعذاب في الدنيا والآخرة والحياة الضنك والضياع والحيرة والقلق وعذاب النفس. يقول الله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾[6]. ويقول كذلك: ﴿ومن أعرض عن ذكري، فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.[7] ويقول كذلك: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون﴾[8].

---

[1] سورة الأنعام الآية 125.

[2] سورة الأنعام الآية 82.

[3] سورة التغابن الآية 11

[4] سورة محمد الآية 2.

[5] سورة النحل الآية 97

[6] سورة الأنعام الآية 125

[7] سورة طه الآية 125

[8] سورة الحشر الآية 19

ثانيا. الإيمان بالملائكة و أثره في تحقيق الأمن النفسي

إذا كان الإيمان بالملائكة جزءا مهما لا يكتمل إيمان المسلمين إلا به، فإن المحقق في دقائق ما يحمله من أسرار، سيقف على آثاره الواضحة في تحقيق الأمن النفسي، ويظهر ذلك من خلال مجموعة من الأدلة القرآنية، نذكر منها:

1-الاستقامة التي تورث الحرص الشديد على كل ما يُصحح عمل المسلم قولا وعملا، بل وحتى نية؛ ولذلك ينتج عن إيمان المرء بوجود الملائكة الحرص على الأعمال الصالحة والقول الحق، وخاصة منهم الحفظة الذين يكتبون ما يصدر عن الإنسان ليلا ونهارا. يقول الله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1].

فوجود الملائكة في حياة الإنسان المؤمن، لا يقتصر- فقط- على التصديق بهذا الوجود، وهو من عالم الغيب، لا من عالم الشهود، بقدر ما يدل –بالأساس- على حرص المؤمن على استحضارهم من أجل المبادرة المستدامة على عمل الخير، الذي هو أحد صور استقامة القلب وسلامته واطمئنانه وسكونه.

2-المحبة الشاملة، حيث خص الله تعالى المؤمن بهم بحفظهم له والدعاء[2] والاستغفار له[3]، وتبشيرهم بالجنة ونعيمها[4]، بل ومحبته. فقد رُوي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إنَّ اللهَ تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل، فقال :إني أحب فلانا فَأَحبهُ، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول :إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القَبُولُ في الأرضِ، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل، فيقول :إني أبغض فلاناً فأبغضه. فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء :إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم تُوضَعُ له البَغْضَاءُ في الأرض"[5]؛وهذا من ثمرات عقيدة الإيمان بالغيب.

---

[1] سورة ق الآيتان 17-18

[2] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ سورة الأحزاب الآية 43.

[3] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ - سورة غافر الآيات 7-9.

[4] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ - سورة فصلت الآيتان 30-31.

[5] رواه مسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والآداب- باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده- حديث رقم: 2637.

ثالثا: أثر الإيمان باليوم الآخر في الأمن النفسي، وذلك من جهة كون هذا الشطر من الإيمان بالغيب، من العناصر المهمة في بناء العقيدة السليمة في نفسية الإنسان؛ حيث يمنح المؤمن الشعور القوي بالاطمئنان، ويجعله يدرك أن الحياة الدنيا مجرد متاع، وأن ما فيها نهايته الزوال؛ فلا ييأس من رحمة الله تعالى، ولا يغضب إن مسه ضر، أو أصابه ظلم، أو استضعف؛ لأنه يعلم علم اليقين، أن ثمة يوما آخر سيجمع فيه الله الناس للفصل فيما بينهم بالعدل والقسط. يقول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين﴾[1].

كما أن هذا الشطر من العقيدة، يُربي المرء على الاستقامة المستدامة من خلال زرع خلق المحاسبة في نفسه التي تقيه الوقوع في مختلف أشكال الانحراف والزيغ، وهي الأشكال التي تمرض النفس وتقهرها بالحزن والخوف، وتجعل الإنسان متعبا بحرصه على الدنيا ومتاعها وشهواتها وفتنها، مما يدفعه في كثير من الأحيان إلى الانزلاق في الزيغ وانحراف الأخلاق؛ ولذلك حرص الدين الإسلامي على ربط حاضر الإنسان بغده الحقيقي، الذي هو الدار الآخرة؛ تلك الدار التي ينبغي استحضارها في كل وقت ،وعلى كل حال. يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم)، في حديث جميل، يصنع الفقه العميق بالعلاقة بالدنيا والآخرة على حد سواء ، ويمنح المؤمن إمكانية العيش بسلام وسكينة وطمأنينة :" من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له"[2].

رابعا. الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره و أثره في الأمن النفسي

إن إيمان الإنسان بالقضاء والقدر، خيره وشره، يورث الهدوء والطمأنينة والسكينة؛ ذلك أن ثقافة التسليم بقضاء الله تعالى وقدره، يمنح المرء الإحساس بالرضا، وهو إحساس يغيب عن الكثير من الناس، وإن كانوا يملكون من الدنيا ما يملكون، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام موجها الفهوم:" من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له"[3].

[1] سورة الأنبياء الآية 47

[2] رواه الترمذي في (جامع الترمذي) – أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - حديث رقم 2465

[3] رواه الترمذي في (جامع الترمذي) – كتاب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في الرضا بالقضاء- حديث رقم 2151.

فحينما يتشبع فكر المسلم بهذا النوع من العقيدة الغيبية، يترسخ في قلبه أمن نفسي جميل، يجعله غير متوتر ولا قلق تجاه ما يُصيبه من خير أو شر؛ لأنه يعلم علم اليقين، أن كل ذلك بأمر من الله تعالى اللطيف الخبير بعباده. يقول الله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهدي قلبه، والله بكل شيء عليم﴾[1] . ويقول كذلك: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور﴾[2].

يقول ابن القيم في سياق حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[3] : "في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه ،لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها مالا يعلمه العبد، وأوجب له ذلك أموراً: منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه، فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب النهي، وإن هويته نفسه ومالت إليه، وإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له؛ لما يرجو فيه من حسن العاقبة. ومنها أنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه، وهو لا يعلم فلا يختار على ربه شيئاً، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره فلا أنفع له من ذلك. ومنها أنه إذا فوض إلى ربه ورضى بما يختاره له، أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات، التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه. ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات، التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى.

---

[1] سورة التغابن الآية 11.

[2] سورة الحديد الآيتان 22-23.

[3] سورة البقرة الآية 216.

ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله، أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه؛ وإلا جرى عليه القدر، وهو مذموم عنده غير ملطوف به فيه، مع اختياره لنفسه.

ومتى صح تفويضه ورضاه، اكتنفه في المقدور العطف عليه واللطف به. فيصير بين عطفه ولطفه. فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره."[1].

وجملة الكلام في هذا المحور، أن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، يورث الرضا؛ وهو مقام مهم في حياة المؤمن، لأنه يؤدي إلى السكينة والطمأنينة والارتياح القلبي، والبعد عن الحزن والقلق والحيرة المفضية إلى الكثير من الأمراض النفسية، نحو الحسد والبغض والكراهية والسخط والاكتئاب. يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، في معرض حديثه الشيق عن منزلة الرضا: " إن السخط باب الهم والغم والحزن وشتات القلب، وكسف البال وسوء الحال؛ والظن بالله خلاف ما هو عليه. والرضى يخلصه من ذلك كله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة (...) إن الرضى يوجب له الطمأنينة وبرد القلب وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب قلبه وريبته وانزعاجه وعدم قراره (...) إن الرضا ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت عليه السكينة، استقام وصلحت أحواله وصلح باله، والسخط يبعده منها بحسب قلته وكثرته، وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة وطيب العيش"[2].

خاتمة

يُستفاد مما سلف ذكره في هذه الصفحات الخاصة بموضوع (أثر البعد المقاصدي للتربية العقدية في الأمن النفسي للإنسان المعاصر)، أن للأمن النفسي مكانة كبيرة في حياة الإنسان بصفة عامة؛ إذ بتوفره يستطيع هذا الأخير تحقيق الحياة الكريمة، وتجنب كل ما من شأنه تعكير صفو عيشه، وإحداث الخوف والرعب والفزع والإحباط والقلق، بل والتسبب في الكثير من الأمراض النفسية، ومن أشهرها -في عصرنا الراهن- الاكتئاب؛ ولذلك، فحاجة الإنسان للاطمئنان النفسي والسكينة، هي ما يسعى هذا النوع من الأمن إلى تحقيقه.

---

[1] التفسير القيم للإمام ابن القيم –جمعه: محمد أويس الندوي-حققه محمد حامد الفقي- ص ص :145-147- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان.

[2] مدارج السالكين 216/2 - دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان-ط2-1988. ويقول كذلك:" الرضى باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا". المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وإذا كان هذا المطلب من أهم احتياجات الإنسان عبر العصور، فإن الكثير من الفلسفات والقوانين والتشريعات -منذ القديم وإلى اليوم- تعمل على تمكين الإنسان من كل ما من شأنه إسعافه بأسباب تحقيقه ووجوده في حياته وواقعه اليومي؛ لكن المتتبع لمجمل ما قدمته من نظريات وتوصيات وتشريعات، لم تسعفه كما هو مطلوب، ودليل ذلك ما نعيشه اليوم من صور متنوعة للاضطراب النفسي الذي يعيشه الإنسان المعاصر برمته، والذي يعكس حجم القلق والفزع والخوف والحيرة التي تسلب الإنسان استقراره النفسي؛ فلا يستطيع العيش كما تتطلبه الفطرة، بل ولا يقدر -مع خطورة هذا الوضع - عمارة الأرض بالشكل الذي يقتضيه مقام التكريم والتفضيل، الذي خص الله تعالى به الإنسان ابتداء.

في هذا السياق لا نجد بدا من استحضار مقام العقيدة، ونحن نبحث عما يحقق هذا الأمن للنفس البشرية؛ حيث الناظر، سواء في تفاصيلها ومكوناتها من جهة، أو المستحضر لحياة المسلمين في ظل العقيدة الإسلامية منذ زمن النبوة وإلى اليوم، من جهة أخرى- سيقف -لا محالة- على القيمة المضافة للعقيدة الإسلامية في بناء حياة الإنسان عامة، والجانب النفسي بصفة خاصة؛ ولعل هذا ما تشير إليه -كما أوضحنا بالأدلة من خلال هذه الورقات- العديد من الآيات والقرائن.

وجملة الكلام بعد الذي سلف ذكره، أن للعقيدة الإسلامية أثرا واضحا في بناء الجهاز النفسي للإنسان، لا يفقه تفاصيله إلا من أبصر حقيقة العقيدة، وتذوق معاني وجود عالم الغيب في عالم الشهادة، والتي تجمعها الكثير من الآيات الربانية، لعل من أبرزها قوله جل جلاله في سورة الأنعام: ﴿الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[1].

[1] الآية 82.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير التحرير والتنوير – ج13 - الدار التونسية للنشر تونس-1984.
- التفسير القيم للإمام ابن القيم –جمعه محمد أويس الندوي-حققه محمد حامد الفقي-دار الكتب العلمية- بيروت لبنان-
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي حققه عبد الرحمن معلا اللويحق -(مؤسسة الرسالة بيروت لبنان-ط1-2022).
- جامع الترمذي وهو الجامع الكبير: للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي- وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية-ط2-2000.
- حرية الإنسان في ظل عبوديته لله: محمد سعيد رمضان البوطي: - (دار الفكر –دمشق-سورية-ط1-1992)
- دع القلق وابدأ الحياة: ديل كارنيجي– تعريب عبد المنعم محمد الزيادي- مكتبة الخانجي القاهرة - مصر-ط16-1994.
- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاح القشيري النيسابوري – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي-دار الكتب العلمية-بيروت لبنان-ط1-1991.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول: ابن تيمية - تحقيق محيي الدين عبد الحميد –عالم الكتب- 1403هـ
- فيض القدير شرح الجامع الصغير –دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان ط2-1972.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني –رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ج8- المكتبة السلفية.
- لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت لبنان.

- معجم التعريفات- تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي- دار الفضيلة القاهرة مصر.
- المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون- مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية- ط3-2004.
- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني-ج1- تحقيق وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز-
- موسوعة أخلاق القرآن: أحمد الشرباصي: - دار الرائد العربي بيروت- لبنان- ط1-1981
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي-تحقيق عبد العظيم الشناوي-ج2- دار المعارف القاهرة- ط2.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية "- ج2 -دار الكتب العلمية- بيروت –لبنان- ط2 -1988.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا-ج1- تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون- دار الفكر-1979
- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للشيخ الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني- تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي-قم إيران-ط1-1408هـ-
- Abraham Maslow : " A theory of human motivation" - in: Psychological Review – N:50-1943.